ومعنى (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) : أن دعوتهم الأصنام دعوة للشيطان والمراد جنس الشيطان وإنما جعلوا يدعون الشيطان لأنه الذي سول لهم عبادة الأصنام . والمريد : العاصي والخارج عن الملك وفي المثل " تمرد مارد وعز الأبلق " اسما حصنين للسموأل فالمريد صفة مشبهة مشتقة من مرد بضم الراء إذا عتا في العصيان .

وجملة (لعنه ا) صفة لشيطان أي أبعده ؛ وتحتمل الدعاء عليه لكن المقام ينبو عن الاعتراض بالدعاء في مثل هذا السياق . وعطف (وقال لأتخذن) عليه يزيد احتمال الدعاء بعدا . وسياق هذه الآية كسياق أختها في قوله (فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) الآية فكلها أخبار . وهي تشير إلى ما كان في أول خلق البشر من تنافر الأحوال الشيطانية لأحوال البشر ونشأة العداوة عن ذلك التنافر وما كونه ا من أسباب الذود عن مصالح البشر أن تنالها القوى الشيطانية نوال إهلاك بحرمان الشياطين من رضا ا تعالى ومن مداخلتهم في مواقع الصلاح إلا بمقدار ما تنتهز تلك القوى من فرض ميل القوى البشرية إلى القوى الشيطانية وانجذابها فتلك خلس تعمل الشياطين فيها عملها وهو ما أشار إليه قوله تعالى (قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) . وتلك ألطاف من ا أودعها في نظام الحياة البشرية عند التكوين فغلب بسببها الصلاح على جماعة البشر في كل عصر وبقي معها من الشرور حظ يسير ينزع فيه الشيطان منازعه وكل ا أمر الذياد عنه إلى إرادة البشر بعد تزويدهم بالنصح والإرشاد بواسطة الشرائع والحكمة .

الشيطان في خلق ا أن (مفروضا نصيبا عبادك من لأتخذن) بقوله عنه الحكاية فمعنى A E علما ضروريا أيقن بمقتضاه أن فيه المقدرة على فتنة البشر وتسخيرهم وكانت في نظام البشر فرض تدخل في خلالها آثار فتنة الشيطان فذلك هو النصيب المفروض أي المجعول بفرض ا وتقديره في أصل الجبلة . وليس قوله (من عبادك) إنكارا من الشيطان لعبوديته ولكنها جلافة الخطاب الناشئة عن خباثة التفكير المتأصلة في جبلته حتى لا يستحضر الفكر من المعاني المدلولة إلا ما له فيه هوى ولا يتفطن إلى ما يحف بذلك من الغلظة ولا إلى ما يفوته من الأدب والمعاني الجميلة . فكل حظ كان للشيطان في تصرفات البشر من أعمالهم المعنوية : كالعقائد والتفكيرات الشريرة ومن أعمالهم المحسوسة : كالفساد في الأرض والإعلان بخدمة الشيطان : كعبادة الإصنام والتقريب لها وإعطاء أموالهم لضلالهم كل ذلك من النصيب المفروض .

ومعنى (ولأضلنهم) إضلالهم عن الحق . ومعنى (ولأمنينهم) لأعدنهم مواعيد كاذبة ألقيها في نفوسهم تجعلهم يتمنون أي يقدرون غير الواقع واقعا إغراقا في الخيال ليستعين بذلك على تهوين انتشار الضلالات بينهم . يقال : مناه إذا وعده المواعيد الباطلة وأطمعه في وقوع ما يحبه مما لا يقع قال كعب : .

" فلا يغرنك ما منت وما وعدت ومنه سمي بالتمني طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر .

ومعنى (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) أي آمرنهم بأن يبتكوا آذان الأنعام فليبتكنها أي يأمرهم فيجدهم ممتثلين فحذف مفعول أمر استغناء عنه بما رتب عليه . والتبتيك : القطع . قال تأبط شرا : .

ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سلة من حد أخلق باتك وقد ذكر هنا شيئا مما يأمر به الشيطان مما يخص أحوال العرب إذ كانوا يقطعون آذان الأنعام التي يجعلونها لطواغيتهم علامة على أنها محررة للأصنام فكانوا يشقون آذان البحيرة والسائبة والوصيلة فكان هذا الشق من عمل الشيطان إذ كان الباعث عليه غرضا شيطانيا .

وقوله (ولآمرنهم فليغيرن خلق ا) تعريض بما كانت تفعله أهل الجاهلية من تغيير خلق ا لدواع سخيفة فمن ذلك ما يرجع إلى شرائع الأصنام مثل فقء عين الحامي وهو البعير الذي حمى ظهره من الركوب لكثرة ما أنسل ويسيب للطواغيت . ومنه ما يرجع إلى أغراض ذميمة كالوشم إذ أرادوا به التزين وهو تشويه وكذلك وسم الوجوه بالنار